الرحلة العلمية

في قلب الكرة الارضية

معرّبة بتصرف

بقلم

الفقير اليه تعالى

اسكندر انطون عمون

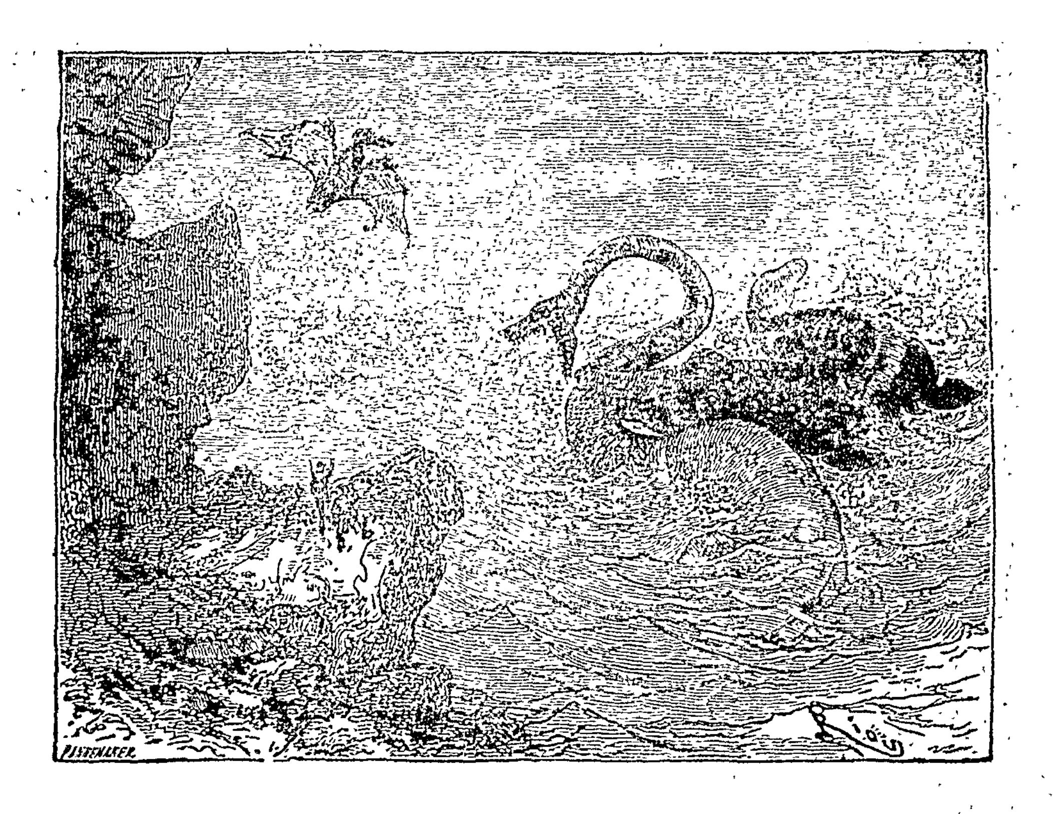
وكيل الحضرة الخديوية لدى محكمة مصر الابتدائية الاهلية



(طبعت بمطبعة جريدة المحروسة بالاسكندرية سنة ١٨٨٥ — ١٣٠٢)

اهداء الكتاب

اما بعد فهذه رواية الرحلة العلمية في قلب الكرة الارضية اخترت تعريبها من مؤلفات العلامة الشهير جول فيرن الفرنساوي التي وضعها على اسلوب الحكايات وضمّنها من المطالب العلمية والمباحث الادبية اعمها نفعًا واحسنها لدى النفوس وقعًا وقد تصرفت في تعريب معانيها وترجمة مبانيها بما ناسب اللغة العربية حتى جآت مع مطابقة الاصل موافقة لذوق ذوي الادب من ابناء العرب واهديتها للامير الجليل والسيد النبيل صاحب الفضل المشهور والاثر المنشور مولاي عطوفتلو عبد الرحمن باشا رشدي ناظر ديوانَي المعارف والاشغال العمومية وناشر لوأي العلم والادب في الديار المصرية فاولاها من حسن القبول ما قضى بهِ كرم فضائله ولطف شمائله ادامه الله عونًا للعلم وابنائه وعقدًا بالفضل واوليائه



الفصل الاول

حدث اكسيل ليدنبروك عن نفسه قال ــ ولدت في اواخر سنة ١٨٤٤ في مدينة همبرج من مدن المانيا وما كدت ابلغ الحلم الا وانا يتيم من الاب والام وكان لي عم صرور يدعى اوتوليدنبروك فاحتضنني واعتنى بامري فكان عندي بمثابة الوالد وانا عنده بمنزلة الولد وكان قد تبنى ابنةً يتيمةً من اقاربنا تسمى غربيه تقاربني في السن ولكونها من اترابي تخذتها رفيقةً لي في العابي وربيت على حبها فلم يكن يطيب لي عيش الا بالقرب منها وكان في البيت خادمة مسنة تدعى مرتا وهي التي باشرت امر تربيتي وتربية ابنة عمي وكانت سليمة القلب صافية النية صادقة الطوية على جانب عظيم من السذاجة تحبنا محبة الوالدة لاولادها او اشد ونحن نحبها لذلك ونكرمها واما عمي فكان حاد الطبع صعب المراس ألوى بعيد المستمر اذا طلب شيئًا هجر الوسن في

سبيل ادراكه واذا كلف نفسه امرًا عكف عليه وانقطع اليه فلا يهناء لهُ بال قبل ان يقضيه وكان عجولاً عنيفًا مستبدًا برأيه وبحكمه فكان اهل بيتهِ يخشونه ويتقون شره على انه لم يكن في الحقيقة شريرًا ولكن الحدة كانت غالبة عليه متسلطة على ارادته بل كان مجبولاً عليها من طبيعته وهو طويل القامة رقيق الجسم عصبي المزاج اشقر اللون ازرق العينين كبيرها على ان عينيه كانتا متواريتين غالبًا وراء نظارتهِ العظيمة الحجم حيث كان لا يزال يقلبهما بين الارض والسماء وكان انفه طويلاً رقيقًا كانه نصلة مدية وقد زعم البعض انه ممغنط بحيث يجذب الحديد وهو اختلاق صرف وافتراء محض فانه ما كان يجذب الا السعوط ولكن بكمية وافرة

وكان الاستاذ اوتو من علماء الجيولوجيا والمعادن الذين يشار اليهم بالبنان فانه كان من مجرد رائحة المعدن او منظره او صلابته او رنته او طعمه او من كيفية ذوبانه او من صوت كسره يعرف حقيقته ويعينه من بين الستمائة نوع المعروفة وقد بلغ من الشهرة مبلغًا عظيمًا حتى ان كثيرين من علماء العصر سعوا اليه وزاروه في منزله منهم همفري ديفي وهمبولد وسابين وكان كثيرون من العلماء يسترشدون برأيه في ادق المسائل الكيماوية كبيكريل وابيلمن وبروستر ودوماس وميلن ادواردس وسنت كلير دوفيل لانه توصل في هذا العلم الى اكتشافات مهمة ورفع النقاب عن اسرار غامضة وقد وضع في التبلور النظري كتابًا طبع في مدينة ليبسيك سنة ١٨٥٢ ولكن ذلك الكتاب مع ما حواه من فرائد الفوائد لم يقم بنفقة طبعه

وكان عمي من جملة اساتذة المدرسة الكبرى بهمبرج حيث كان يدرس علم المعادن وكان كلما القى درسًا لا بد ان تأخذه الحدة مرة او مرتين على الاقل ذلك انه كان في لسانه ثقل في النطق وحبسة في الكلام وكانت تزداد لعثمته اذا قام في منبر الخطابة فان علم المعادن يشتمل على كلمات متعقدة لم يكن

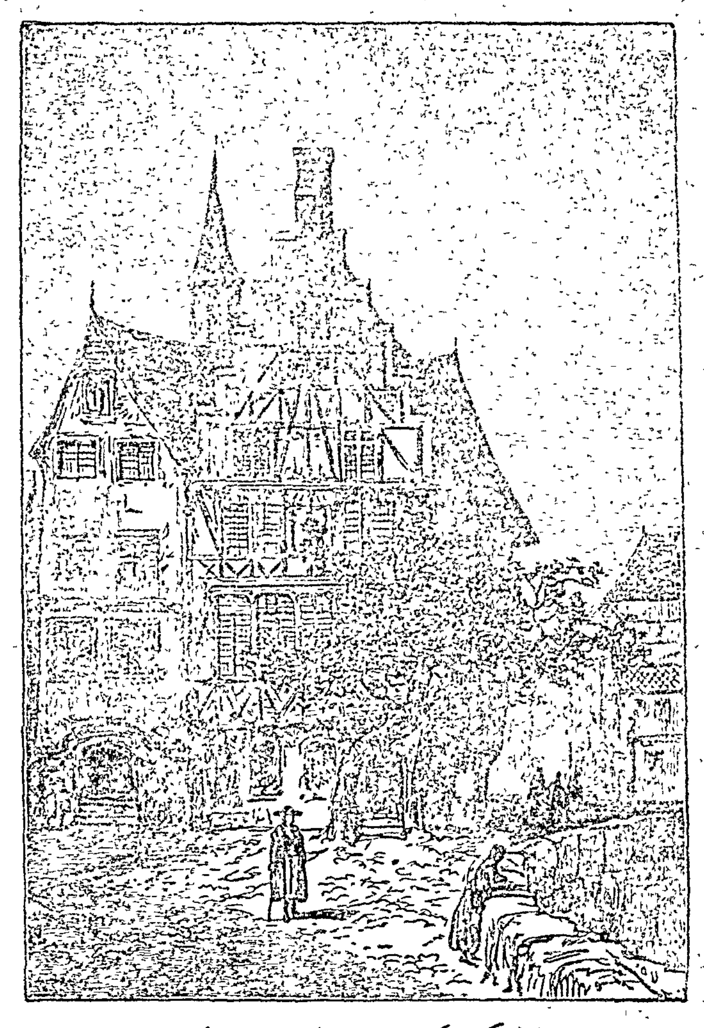


وهو طويل القامة ، رقيق الجسم (صفحة ٤)

ينطق بها لسان الاستاذ الا بعد التردد الشديد والمقاومة العنيفة فطالما وقف في اثناء خطابه يحاول لفظ كلمة من تلك الكلمات الثقيلة وبعد الجهد والمشقة نطق لسانه بلغنة او لفظة شتم بدلا من ان ينطق باسم من الاسماء العلمية

يستصعب النطق الصريح لسانه ويجيءُ بعد عنائهِ بالمبهمِ
واذا عصاه مراده يعتاضه بالسب والقول الشديد المؤلمِ

نعم ان تلك الكلمات المركبة من اللاتينية واليونانية يصعب لفظها على كثير بن كحيلينيت وفنجاسيت وملبدات الرصاص وتنجستات المغنيسيا وتيتانيات الزيرقون فلا عجب اذا تعذر لفظها على لسان ألكن ولا حرج عليه بذلك



واما سكنهُ فكان في المنزل نمره ١٩ (صفحة ٦)

على نفسه فكان اذا زرع نباتًا واستبطأ نموه يأتيه في كل يوم ويجذبه من اوراقه بقصد تعجيل نموه واذا مشى قاصداً جهة من الجهات ينهب الارض نهبًا وهو يعدو الجمزى وكفاه منقبضتان شأن الرجل العنيف الطباع ولذلك كان ينفر منهُ كل من يراه عند اول وهلة وكثيرًا ما كان يكسر ادواته الكيماوية لاستعماله اياها بالعنف والقسوة

يستحضر الجسم المراد بحكمةٍ ويناك من اعماله المطلوبا
لكن اذا مسَّ الجهاز بقوةٍ اذرى الوقود وكسَّر الانبوبا

الفصل الثاني

في يوم الخميس الواقع في ٢٤ مايو سنة ١٨٦٣ خرج عمي من البيت صباحًا كجاري عادته وكان لا يعود عادةً الا لمناولة الطعام اذا انتصف النهار فقمت بعد خروجه بساعة الى شرفة من شرف المنزل اتنسم الهواء النقي واسرح الطرف في الخلاء وبينما انا على ذلك حانت مني التفاتة الى الشارع فرايت عمي عائدًا الى المنزل بسرعة غير سرعته الاعتيادية وكانت الخادمة مرتا بجانبي فظنت انها تأخرت في الطبخ عن الميعاد لان الطعام كان لم ينضج بعد بل لم يكن للقدر غطغطة فقلت في نفسي ان كان عمي جائعًا مع ما هو عليه من قلة الصبر فسنرى منه الساعة شراً عظيمًا ثم افهمت مرتا ان عمي عاد قبل ميعاده ولذلك لاحرج عليها اذا لم نكن هيأت الطعام فسكن جاشها وقالت واي داعٍ اذن لحضوره في مثل هذه الساعة فوالله ما اتانا مرةً قبل الميعاد الا لامر عظيم ثم انصرفت الى المطبخ بعد ان اوصتني بتسكين غضبه اذا ما اخذه الغضب على اني كنت ابعد الناس عن اتباع مشورة مرتا لاني كنت ادراهم بطباع عمي وعناده ولذلك عزمت على دخول غرفتي لا توارى عن نظره فلم اشعر الا وقد فتح الباب الخارجي ثم ردَّ بقوة وعنف فاهتزت جدران البيت بينما كانت قوائم السلم الخشبية ترقص تحت وطأة الاستاذ وحينما دخل القاعة رمى بعصاه احدى زواياها والقى قبعته الواسعة على الطاولة وابتدرني بهذه الكلمات : يا اكسيل اتبعني ودخل مخدعه فهرولت نحوه مسرعًا خوفًا من ان يستبطئني ومع ذلك فما ادركته الا وقد فرغ صبره

وكان مخدع الاستاذ متحفًا حقيقيًا يحتوي على جميع اجناس المعادن وانواعها وهي موضوعة فيهِ بغاية الترتيب والانتظام مقسومة الى اقسام ثلاثة بحسب التقسيم العام قسم للمعادن القابلة الاشتعال وقسم للمعادن الفلزّية وآخر للمعادن الليثية وكنت اعرف تلك الشذور والاركزة حق المعرفة بل كنت

كلفًا بها كلف العاشق بمعشوقته فكم من يوم صرفتهُ في تنظيفها وفرزها بدلاً من ان اصرفه في اللعب مع اقراني وكم من ليلةٍ احييتها بالتأمل فيها اجيل الطرف بين البلمباجين والانتراسيت والخث واللكنيت والزفت والبيت والحمر والكبريت والفناديوم والروبيديوم والزركونيوم والليثيوم والغلوسينيوم والكلسيوم والسترنتيوم والتربيوم واليتريوم والاربيوم والسريوم والديديميوم والروثينيوم والروديوم والنيوبيوم والباريوم والبلاديوم والاسميوم والاريديوم وسائر المعادن الفلزّية والاملاح العضوية وكلها متساوية في القيمة من حيث الفائدة العلمية بيد اني لما دخلت المخدع على اثر عمي لم انظر الى هذه الدرر ولا افتكرت فيها لانني كنت مشغولا عنها بعمي وكان وقتئذٍ جالسًا على كرسيه محدقًا نظره الى كتاب بيده يتصفحه مرددا عبارات الاعجاب والابتهاج وكان ولوعًا بالكتب مغرمًا بجمعها ولكنه لم يكن يعتبر كتابًا الا اذا كان نادر الوجود او كان على الاقل باليًا رثًّا بحيث تتعذر قرآته وبعد ان وقفت امامه برهة نظر اليَّ بوجهٍ متهلل فرحًا وقال ما قولك في هذا الكتاب انهُ لكنز ثمين وقد عثرت عليه في هذا الصباح في دكان هيفيليوس اليهودي فاجبته في الواقع هو درة يتيمة

على اني لم اكن اعرف ما هو ذلك الكتاب ولكن لم يكن في وسعي الا الاقرار على رأي عمي وكان يقلبه بين يديه ولوائح الرضا والابتهاج تلوح على وجهه وهو يخاطب نفسه ويجاوبها قائلاً هل من كتاب اثمن منهُ كلا فلله در مؤلفه ودر مجلده فما احكم جمعه واتقن صنعه وما اطوعه اذا فتح وما اضبطه اذا اغلق فشتان بين مجلده وامهر مجلدي هذا العصر بل من يراه ويظن ان لهُ في عالم الوجود اكثر من مائة سنة مع انهُ قد تجاوز عشرة الاجيال بخ بخ بد بد

وكان في اثناء ذلك يفتح الكتاب ويطبقه ويأخذه تارةً باليمين وطوراً بالشمال فلم يسعني الاَّ ان اسألهُ عن موضوعه وكنت اتظاهر بالاندهاش لحسن

ذلك الكتاب مجاراةً لهُ ورغبةً في ارضائه فاجابني بعجب وافتخار قائلاً تسألني عن هذا الكتاب فاعلم انه كتاب الحيوان تأليف ابي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الملقب بالجاحظ امام الفصحاء والمتكلمين الذي توفي في اواسط الجيل الثالث للهجرة

فقلت أَليس هو الذي قيل فيهِ

لو يمسخ الخنزير مسخًا ثانيًا   ما كان الادون قبح الجاحظِ

قال بل هو الذي قيل فيه مما فضل الله تعالى به امة الاسلام على غيرها من الامم عمر بن الخطاب بسياستهِ والحسن البصري بعلمهِ والجاحظ ببيانهِ

قلت وهل هذه هي ترجمة ذاك التأليف الى اللغة الالمانية

قال أفٍ لك وما هي قيمة الترجمة فهل تظن اني كنت اكترث بها فاعلم ان هذا الكتاب هو التأليف الاصلي الذي وضعه مؤلفه في اللغة العربية اشرف اللغات واغناها وان هجرها الجاهل وعاداها

قلت وهل حرفه جميل

فنظر اليَّ الاستاذ شزرًا وقال اتحسبه مطبوعًا يا غافل مع ما رأيت من شغفي به فاعلم انه كتب اليد بالخط الكوفي الذي اخذته طي عن كاتب الوحي للنبي هود عليه السلام

ثم اردف كلامه قائلاً انظر الى هذه الكتابة ايها الغر الجاهل وتأمل هذه الحروف ايها الكافر ولتأخذنك الدهشة من هذه الرموز الالهية

وكان يقول هذا الكلام بجدة وحرارة ونظره هائم في قفار التصور وكانت حالته اشبه بحالة رجل سلب عقله او غاب رشده ولا حرج عليه فان العلم كان معبوده والعلماء رسله وانبياءه واما انا فلما لم اجد لديَّ جوابًا ابديه هممت بان اجثو على ركبتي احترامًا للكتاب واجلالاً لرموزه غير انه عرض امر حوَّل الحديث عن موضوعه وكفاني عناء الركوع . ذلك انه سقط من الكتاب بينما كان عمي يقلبه

بيديه رقعة قذرة صفراء كانت محفوظة فيه. فانقض عمي عليها انقضاض البازي على البغاث وانتشلها ويداه ترتجفان ثم بسطها بحرص واعتناء على مكتبه وكان طولها نحو خمس اصابع وعرضها نحو ثلاث وعليها كتابة حروفها عربية الاَّ ان كلماتها بربرية

ولما كانت هذه الكتابة قد حملتني وعمي على سفرة لم تخطر ببال عاقل من اهل العصر التاسع عشر فقد حفظت رسمها وهذه صورتها

مهبران بتخاس سكقاها وليوان نسلالا كتمايظك سيوفير نريسيب
رطنيتة اضورله اريتاو ناررلف الهكفن الشسيم

الفصل الثالث

تأمل الاستاذ هذه الكتابة برهةً ثم نظر اليَّ وقال لاشك ان هذه الاحرف عربية ولكن كلماتها بربرية لا ارى لها معنىً

فقلت لهُ من اين لنا ان نحكم بانها عربية مع علمنا ان حروف اللغات العربية والفارسية والتركية واحدة في الرسم

قال لا فان هاتين اللغتين تشتملان على حروف اربعة لا وجود لها في اللغة العربية وهي الباء والجيم والزاي والكاف الفارسيات والحال اني لا ارى منها شيئًا في هذه الرقعة مع انها تشتمل على اربعة وثمانين حرفًا

وكان الاستاذ يعرف جميع اللغات المألوفة لا اريد بذلك لغات الارض اجمع التي يبلغ عددها نحو الالفين فضلاً عن الالسن التي تبلغ اربعة الاف بل الشهيرة منها وبينما نحن على ذلك دق ناقوس الظهر وفي ذلك الوقت فتحت مرتا الباب وقالت: سكبت الشوربا:

فاجابها عمي لعنة الله على الشوربا والف لعنة على من طبخها وعلى من يأكلها

واما مرتا فلم تسمع اخر العبارة لانها هربت من اول لعنة فتبعتها على وجل وجلست على المائدة في محلي المعتاد وبعد ان انتظرت الاستاذ برهة ولم يحضر ايقنت ان لا فائدة من انتظاره فاكلت على عجل وانا خائف من ان يفتقدني ولا يراني في مخدعه فينفذ فيَّ غائلة غضبه المسبب من الرقعة ومع ذلك فقد وجدت الطعام لذيذًا جدًا ولعل ذلك ناتج عن اللعنة التي افرغها عمي عليهِ وقبل ان افرغ من الاكل ناداني الاستاذ بصوته الجهوري فوثبت مذعورًا ودخلت مخدعه باقل من طرفة عين فسمعته يقول لاشك ان هذه الحروف عربية ولكن في هذه الكتابة سرًا لا بد لي ان اقف عليهِ ثم نظر اليَّ وقال اجلس امام هذه الطاولة واكتب

ففي الحال جلست في المحل المعين واخذت القلم بيدي وبعد برهة قال لا بد ان تكون هذه الكتابة منقلبة الوضع وان كانت كذلك فلا بد انها تشتمل على اكتشاف عظيم اوسر من الاسرار الغامضة ولكن من لي بمفتاح هذا المعنى وكيف الوصول الى معرفة الوضع الاصلي

اما انا فكنت ارى ان تلك الكتابة خالية من المعنى من اصل وضعها على اني لم ابدِ ذلك الرأي لاني كنت ارى اصابع الاستاذ تضطرب اضطرابًا مخيفًا

ثم ان الاستاذ اخذ الكتاب باحدى يديه والرقعة بالاخرى وبعد ان ردد الطرف بينهما برهةً قال ان الكتاب اقدم من الرقعة ولي على ذلك دليل قاطع وهو ان الرقعة مكتوبة بالخط المألوف في هذا العصر والكتاب محرر بالخط الكوفي والحال ان الكتابة العربية لم تنتقل الى الطريقة التي هي عليها الان الاَّ في اواخر الجيل الثالث للهجرة اي بعد وفاة الجاحظ تقريبًا

قلت اجل على اي طريقة كانت الكتابة العربية قبل الخط الكوفي وكيف انتقلت الى الطريقة التي هي عليها الان

قال اول من كتب بالعربية هم اهل اليمن قوم هود وكانت تسمى كتابتهم

المسند الحميري وكانت حروفها كلهـــا منفصلة وكانوا يمنعون العامة من تعلمها فلا يتعاطاها احد الاَّ باذنهم حتى تعلمها مرامر بن مره واسلم بن سدره وعامر بن جدره وهم من عرب طي على كاتب الوحي للنبي هود عليهِ السلام فتصرفوا فيهـــا ووضعوا الخط الكوفي وسموه بخط الجزم لانهُ جزم اي اقتطع وولد من المسند الحميري ثم علموه اهل الانبار ومنهم اشتهرت الكتابة في البلاد العربية ثم سمي فيما بعد بالخط الكوفي وكان الخط غفلاً والحروف مبهمة الى ان خالطت العرب الاعاجم وتغيرت السنتهم فكثر اللحن والتصحيف في قراءة المصحف الشريف فوضع ابو الاسود الدؤلي الشكل في ايام معاوية ووضع نصر بن عاصم النقط افراداً وازواجاً في ايام عبد الملك بن مروان منعاً للاشكال والابهام واستمرت الكتابة بالخط الكوفي الى اواخر القرن الثالث للهجرة اذ جاء ابن مقلة الوزير ابو علي ونقلها الى الطريقة المألوفة في ايامنا او ما يقاربها ثم جاء بعده علي بن هلال البواب الكاتب البغدادي فهذب طريقته ونقحها فصارت على ما هي عليهِ الان

فعجبت لسعة اطلاعه ورأيت حكمه في محله

ثم اضاف قائلاً يظهر من ذلك اذاً ان شخصاً من الذين تداولوا هذا الكتاب حرر هذه الرقعة السرية ولكن من هو ذلك الشخص يا ترى ألم يضع اسمه على احدى اوراق هذا الكتاب قال ذلك ثم نزع نظارته واخذ عدسية قوية وامرَّ نظره بواسطتها على الصفحة الاولى ثم الثانية من الكتاب فوجد في اسفلها كلفاً اشبه بلطخ من الحبر اذا نظر اليه بالعين المجردة فتأملهُ قليلاً وتبين لهُ انهُ كتابة معقدة لم يبقَ منها الا الاثر وبعد انعام النظر والتدقيق قرأ اسم أرن سكنوسيم مكتوباً بحروف ايسلاندية تعرف بحروف اودين وهذا رسمه

ᛅᚱᚾᛁ ᛋᛅᚴᚾᚢᛋᛋᛁᛘ

ولما قرأ ذلك الاسم تهلل وجهه بالفرح ثم قال بصوت الظافر

ارن سكنوسيم هو من اهالي ايسلاندا من علماء العصر السادس عشر وهو كيميا وي شهير

ثم اضاف قائلاً ان هولاء الكيمياويين كابن سينا وباكون وبرسليز هم علماء زمانهم دون غيرهم فقد اكتشفوا اسراراً علمية لا نزال نعجب منها ومن المحتمل ان يكون سكنوسيم اكتشف امراً عظيماً واودع سره هذه الرقعة المبهمة نعم لا بد ان يكون كذلك لان سكنوسيم كان من اشهر العلماء ولو لم يقصد اخفاء امر ذي شأن عن ابناء عصره لما اختار لغة غريبة دون اللغات الاوربية وجعل الكتابة على ما هي عليه من الاشكال

فقلت ولماذا اختار سكنوسيم اللغة العربية دون بقية اللغات الشرقية فلو كان قصده اخفاء سرٍ ما عن ابناء عصره لكان الاولي به ان يكتبه بلغةٍ اقل انتشاراً من اللغة العربية

قال لا بد ان يكون لذلك داعٍ

ثم اطرق لحظةً وقال لكل لغةٍ عمر محدود وان طال فاذا انقضى اندثرت اللغة واضمحلت او انتقلت من حال الى حال الا اللغة العربية فانها آمنة من بوائق الحدثان ولا تتغير بتغير الزمان لان الله انزل فيها كتابهُ فما دام على وجه الارض مسلم فهي قائمة لا يخشى عليها من النسيان واظن ان ذلك هو السبب الذي حمل سكنوسيم على اختيارها دون بقية اللغات لانهُ لم يقصد ملاشاة امر اكتشافه بالمرة بل اخفاءه حيناً من الدهر

فقلت لا بد ان يكون الامر كما قلت ولكن ماذا عسى ان يكون حمل ذلك العالم على اخفاء اكتشاف من الاكتشافات الغريبة

قال وهل ادري ذلك أما اخفى غليليو اكتشافاتهِ المتعلقة بزحل عن اهل زمانه ومع ذلك فستنجلي لنا الحقيقة وحرام عليَّ الطعام والمنام قبل ان اقف على سر هذه الرقعة

فتأوهت لذلك فقال وعليك ايضاً يا اكسيل

فحمدت الله الذي الهمني التهام الطعام حين كان عمي مشتغلاً برقعته يلعن الشوربا وطابخها ومن ياكلها

الفصل الرابع

بعد ان بقي الاستاذ برهة يعمل الفكرة وهو يناجي نفسه قال نعم هذه الكتابة عربية لا شك فيها ولكن احرف الكلمة الواحدة مختلطة باحرف الكلمة الاخرى ولا بد من الوصول الى فرزها

فقلت في نفسي ان تيسر لك ذلك يا عماه فانت ادهى من ابي مره

ثم رجع يخاطب نفسه فقال هذه الرقعة تحتوي على اربعة وثمانين حرفاً مختلة التركيب اختلالاً واضحاً وكل ستة منها جعلت كلمة واحدة ولا اظن ابداً ان هذا الوضع نتيجة الصدفة بل لا بد ان الكاتب اقتفى فيهِ قاعدة ما فلا بد ان تكون العبارة كتبت اولاً كتابة صحيحة ثم انقلب وضعها بطريقة مجهولة وهي الطريقة التي يجب علينا ان نبحث عنها فمن وقف على مفتاح هذا المعى قرأ هذه الكتابة وفهم مضمونها ولكن من لي بهذا المفتاح عسى ان تكون وجدتهُ يا اكسيل

اما انا فلم اجبه على سؤآله وذلك لان نظري كان قد وقع على رسم لابنة عمي غريبة معلق على الحائط فبالنظر اليهِ والفكر في صاحبتهِ بيني وبين الاجابة وكانت يومئذٍ عند احدى اقاربها في ألتونا وهي قرية بجانب المدينة وكنت حزيناً لفراقها كئيباً لبعادها لانى كنت كثير الشغف بها والميل اليها

ملأ القلب حبها وهواها يعلم الله صار اكبر همي
ونسيت الوجود طراً فلا غر وَ اذا ما نسيت اقوال عمي

وكنت قد خطبتها بدون علم عمي لانهُ لم يكن يدرك عواطف المحبة وعوامل الغرام اذ ان كلفه بالعلوم قد اشغل فؤاده وعقله عما سواها



وكانت غريبة صبوحة الوجه وضاحة الجبين (صفحة ١٦)

لا يعرف الشوق الا من يكابده   ولا الصبابة الا من يعانيها

وكانت غريبة صبوحة الوجه وضاحة الجبين شقراء الشعر زرقاء العينين بارزة النهد مائلة الى الجد والرصانة بعيدة عن الهزل والطيش وهي مع ذلك شديدة الولع بي فلما وقع نظري على رسمها خفق فوادي لذكراها ونسيت عمي ورقعته وسكنوسيم ورقاعته وغصت في بحار الافكار فذكرت ايام قرب حبيبتي والاوقات التي كانت تساعدني فيها في تنظيف مجموعة العم وكانت مائلة الى علم المعادن راغبة في اتقانه فكم من ساعةٍ صرفناها معًا نبحث في ادق المسائل الجيولوجية وكم من مرة حسدت الشذور والركزان التي كانت تقلبها يداها اللطيفتان

وهل في عالم الانسان احلى   من العلم المعزز بالجمال
لصاحبه على الارواح بطش   فاما بالخلال او الدلال

ثم ذكرت اوقات النزهة اليومية اذ كنا نسير سويةً حيث لا عذول ولا رقيب نجوس خلال الرياض ونحن نتجاذب اطراف الحديث واعطاف الكلام ونتراوح الروايات الادبية والابحاث العلمية حتى اذا بلغنا شاطئ البحيرة اثنينا على ضفة نهر الألب فنقف هناك برهة نراقب البجع يغتسل في مياههِ ثم نعود الى المنزل على قارب بخاري

وبينما كنت اتذكر ذلك واتلهف على تلك الايام الماضية ايام السرور والهناء ضرب عمي المكتب بيده ضربة قوية فانتبهت من غفلتي مجفلاً اجفال الظبي المذعور وغاب خيال ابنة عمي عن عيني ورأيت شخص الاستاذ منتصباً امامي كانهُ مارد من مردة الجن فكنت كمن سقط من جنة النعيم الى قاع الجحيم

وكان عمي اذ ذاك يكلم نفسه قائلاً اذا اراد احد أن يخل ترتيب احرف جملةٍ ما فارى ان اول فكرٍ يطرأ عليه هوان يضعها على خط عمودي بدلاً من ان يضعها على خط افقي

فقلت في ذلك نظر

ثم خاطبني قائلاً سنرى نتيجة هذا الامتحان فخذ يا آكسيل هذه الورقة واكتب عليها اي جملة خطرت ببالك ولكن بدلاً من ان تضع حروف الكلمات متتابعةً مرتبطةً ببعضها ضعها منفصلة على خطوطٍ عمودية ستة

فادركت قصده وفي الحال اخذت القلم وحررت بيتًا من الشعر كنت في ذلك الوقت اردده بفكري ووضعت حروفه بحسب اشارتهِ على الاسلوب الآتي

ب م ي و م ا
ا ي ب ا ي ك
ب ي ة ن ف ف

ي ا ف ا و د
و غ ا و ق ا
ا ر ك ع ذ ك

ولما فرغت من الكتابة عرضت الرقعة على الاستاذ فالقى نظره عليهـا بدون ان يقرأها وقال احسنت فضم الان حروف كل خطٍ افقي الى بعضها بحيث يصيرُ كل خط كلمة واحدة

ففعلت كما اشار وقرأت الالفاظ الاتية

بيوما ايبايك بيتنفف يافاود وغاوقا اركعذك

ولم أتم القرآة حتى اختطف عمي الورقة من يدي قائلاً نعم نعم هذه الالفاظ اشبه شيء بكلمات الرقعة السرية ولعل سهمي اصاب الغرض

ثم نظر اليَّ وقال اني لم اقرأ الجملة التي كتبتها فاذا اردت ذلك فليس لي الا ان آخذ الحرف الاول من كل كلمة ثم الثاني فالثالث وهلمَّ جرًّا فانال المقصود

ثم فعل كما قال وقرأ البيت الاتي ولوائح الدهشة والتعجب ظاهرة على وجههِ

بابي وامي يا غريبة فاكِ وانا وعمي فوق ذاك فداكِ

واما انا فكنت اشد منهُ حيرةً ودهشةً لاني كتبت ذلك البيت بدون انتباه ففضحت نفسي واطلعت عمي على سري وما زاد في الطين بلة هواني جعلتهُ فدىً لغريبة فلعنت قريحتي ووقفت موقف الخجل المذنب انتظر من عمي اشد التبكيت وامر التعنيف

واما هو فبعد ان قرأ البيت نظر اليَّ نظرة المعلم الصارم وقال بصوت المتوعد تحب غريبة وانا وانت وابوك وامك فدىً لها

فاردت المجاوبة ولكن ارتج عليَّ وارتبكت الى ركبتي فقلت لا ثم قلت نعم ثم قلت لا واما عمي فبقي يردد قولهُ تحب غريبة وتفديها بي ولكنهُ كان يقول ذلك

بدون انتباه وافكاره مشتغلة بحل كتابة الرقعة فحمدت الله الذي حوَّل غضبه عني واثنيت على كاتب الرقعة التي شغلته ونسيت اني لولا تلك الرقعة لما فرط مني ما فرط وكان عمي لا يزال يردد تلك الكلمات ثم نظر اليَّ وقال

ان صح ذلك فلنستعمل هذه الطريقة لحل الرقعة السرية

فقلت في نفسي ان كان حل الرقعة موقوفًا على صحة محبتي لغريبة فبشر الاستاذ بفوز قريب

ثم اخذ يسرد عليَّ حروف الرقعة السرية بحسب الطريقة التي وضعناها فانعكست حروفها بالكيفية الاتية

م ي س و ن ك
س ن ر ا ا ن
ا ا ه ت ك ل
س ق ي ر ط ض
ر ا ل ا ب ل
ق ي ل ا و ي
ن و ي ر ه ش
ر خ ا و ا ي
ف س ي ر ت ر
ك س ا ا ه ل
ل ظ ي ي ث ل
ا ل ف ي ن س
ا ن ا ك ر ب
ه ه و ف ن م

وفي اثناء ذلك كان الاستاذ يضطرب اضطرابًا هائلاً كالمقامر اذا راهن على جميع ماله دفعةً واحدة وازفت دقيقة فصل الخطاب وكانت عيناه تلمعان ويداه ترتجفان وكنت انا مشاركًا لهُ بعض المشاركة في حاساتهِ وانفعالاتهِ ولما اخذ الورقة من يدي حبست نفسي واعرتهُ اذنًا صاغية منتظرًا منهُ كشف القناع عن سر تلك الرقعة

اما هو فبعد ان تأمل الكتابة برهة قال ميسونك سنرا آن آآ .. ما معنى هذه الالفاظ ثم اخذته الحدة وضرب المكتب بيده ضربةً هائلة فسقط القلم من يدي واندفق الحبر من الدواة وبعد ذلك اندفع الاستاذ من الباب كحجر المنجنيق وخرج من البيت وهو يرغي ويزبد كالفنيق فسكن جاشي لانصرافهِ وانفكت قيود اسري

وكانت مرتا قد سمعت قلقلة المفتاح في القفل فاسرعت نحوي وقالت أَخرج عمك

فقلت نعم

قالت ولكنهُ لم ياكل بعد

قلت لن ياكل ابدًا

ففزعت من ذلك وقالت كيف هذا

فقلت لها اعلمي يا عزيزتي مرتا ان عمي قد حرم الاكل على نفسه وعلى كل اهل بيتهِ حتى يتوصل الى حل معمى هو اعقد من ذنب الضب

فجزعت مرتا لذلك الخبر واصفر وجهها وارتعدت فرائصها وبعد ان اطرقت برهةً قالت قضي علينا اذن بالموت جوعًا

وكنت اخاف فعلاً ان يكون ذلك ما قدر علينا نظرًا لما اعهده في عمي من العناد ولما رأيته في الرقعة من الاشكال واما مرتا فانصرفت الى المطبخ وهي في حالة يأس بين



واما مرتا فانصرفت الى المطبخ وهي في حالة يأس بيّن (صفحة ٣٠)

الفصل الخامس

بعد انصراف عمي خطر ببالي ان اتوجه الى قرية ألتونا حيث كانت غريبة فاقص عليها الامر وكنت اعلم بانها لا تستطيع ان تحوله عن عزمهِ ولكن شكوى المصاب تخفف الم العذاب

يسرّى عن الانسان ان بث حزنه ويرتاح للشكوى لمن يتعشق

غير اني خشيت من ان يعود الى البيت في اثناء غيبتي لامتحان طريقة اخرى فلا يجدني وخوفاً من العاقبة بقيت في مكاني ثم تذكرت ان صديقاً لعمي من علماء الجيولوجيا كان قد اهدانا في امس ذلك اليوم بعض قطع سليكية وهي حجارة تبلور قلبها

فاخذت اشتغل بفرزها ووضعتها في المحلات المعدة لها ولما فرغت من ذلك اتكأت على كرسي عمي واخذت ادخن ورأسي ملقىً على ظهر الكرسي وعيناي تراقبان صعود الدخان وكنت اتأمل صورة الحوارية المنقوشة على الحجر التي بعد ان كانت تحاكي الثلج بناصع بياضها اصبحت زنجية حالكة السواد بسبب فعل الدخان المستمر وكان لم يزل فكري مشتغلاً بامر الرقعة السرية وما نتج عنها فقلت يا ترى هل من عامل من العوامل الطبيعية قادر على تبديل حدة عمي بالاعتدال وشدته باللين كما تبدل بياض تلك الصورة بالسواد . وضعت ذلك السوآل ولم استطع عليه جوابًا ومهما يكن من ذلك فاني كنت معتقدًا كل الاعتقاد ولا اطنني مخطئًا ان عمي كان في تلك الساعة تائهًا في برية المدينة يقرع الشجر بعصاه ويدوس الزهور برجليه وهو يقاتل خياله ويكافح سرباله وما كنت ادري ايرجع فائزًا منصورًا ام يعود كئيبًا آيسًا من حل تلك الكتابة التي كادت تسلب عقله ثم اخذت بيدي الورقة التي حررتها بخطي وكنت بعد ان سمعت ما اقام عمي من الادلة ايقنت ان تلك الحروف لم توضع عبثًا ولا كان اختلال تركيبها جزافًا فقلت في نفسي اذا تقرر ذلك فلا بد ان يكون لهذه الكتابة شأن ولربما تحتوي على اكتشاف عظيم لان نفس تعقيدها بالكيفية التي هي عليها هو دليل كافٍ على ذلك والا لما كان يحرص محررها على ما حوته فلا شك ان تعقيدها كان بقصد حفظها وصيانتها من ايدي العامة ثم حاولت ان اركب من تلك الحروف كلمات مفيدة فلم يتيسر لي ذلك وبعد ان اشتغلت بها ساعةً اعياني التعب وكلت عيناي فرفعت نظري عن الورقة الا اني بقيت ارى الاربعة وثمانين حرفًا تحوم حولي كانها شهب نارية او خطوط فوسفورية وكان قد كلل وجهي العرق فصرت اتروح بالورقة بحيث كان يقع نظري تارةً على وجهها وتارةً على ظهرها وبينما كان ظهرها متجهًا نحوي والكتابة تتلألأ عليها منقلبة وقع نظري على السطرين الاخيرين منها فقرأت (من فوهة بركان) فوقفت يدي عن الحركة واضطربت جميع اعضائي

مرة واحدة لاني في تلك اللحظة ادركت سر ذاك المعمى وعرفت ان العبارة كتبت حروفها اولاً على خطوط عمودية ستة يحتوي كل منها على اربعة عشر حرفاً ثم ضمت حروف كل خط افقي الى بعضها بحيث صارت كلمة واحدة ثم وضعها كاتبها على الرقعة منعكسة مبتدئاً من آخرها ومنتهياً باولها رغبةً في زيادة الاشكال فتحقق لي ان عمي محق في حكمه على لغة الكتابة بانها عربية مضيب في اختيار القاعدة التي استعملت لتغيير ترتيب الحروف بحيث صارت الكلمات مبهمة معقدة كما رأيناها وفي ذينك الامرين كانت الصعوبة الحقيقية وما كان باقياً بينهُ وبين الفوز الا شيء يسير جداً فذلك الشيء اليسير الذي فات عمي ادركتهُ انا بمجرد الصدفة

ولربما كدح الحكيم لفكرةٍ وسواه ادركها باول نظرةِ

ففي تلك الساعة كنت مضطرباً اضطراباً زائداً وقلبي يخفق خفقاناً شديداً شأن من فاجاه الظفر وابتدرتهُ الامنية فانبهر ولم يكن لي الا ان اقرأ الكتابة بالقلب مبتدئاً من آخرها لكي اقف على السر الذي تضمنتهُ ولكني تركت الرقعة على المكتب وذهبت الى احدى نوافذ المخدع وتنسمت الهواء البارد برهةً حتى سكن روعي وهدأ اضطراب اعصابي ثم رجعت الى محلي واتكأت على المكتب فوق الرقعة وتلوتها منعكسة بدون ان اتوقف فيها البتة فجاءت عبارة عربية فصيحة صريحة وهذا نصها

(من فوهة بركان اسنيفل التي يظللها اسكرتريس في اواخر شهر يونيو الى قلب الارض طريقة سلكتها انا ارن سكنوسيم)

ولم اتم قراءة العبارة حتى اخذتني الرعشة ثم لبثت برهة لا ابدي حراكاً كمن غاب رشده وبعد ذلك انتبهت كمن يستيقظ من حلم وظننت ان ما نظرتهُ هو مجرد رؤيا فقرأت الكتابة ثانية وثالثة حتى لم يبقَ عندي ريب في الامر فاخذني العجب الشديد من جسارة ذلك الرجل ثم داخلني الريب في صدق الرواية لاني

لم اكن اتصور امكان حصول ذلك الامر الغريب ثم تذكرت عمي فوثبت من على الكرسي خائفًا مرتعدًا لاني قلت في نفسي ان عرف هذا الامر فلا بد من ان يقتفي اثر سكنوسيم فانهُ ليس دون المذكور جنونًا وهو مائل بالطبع الى الاكتشافات متهالك على مشاهدة المستغربات وكم يتيهفى باستكشاف صغير فكيف بامر مثل هذا خطير فليس من سبيل الى تحويله عن عزمهِ بل لا بد لهُ من ان يأخذني بصحبته وليس بعد تلك الرحلة من رجوع وفي نفس ذلك الوقت افتكرت في غريبة والعذاب الذي اقاسيه اذا فارقتها فاخذت على نفسي اخفاء الامر عن عمي وقلت ان ابقيت هذه الرقعة فلربما توصل ولو بعد مدة الى حلها كما توصلت انا الى ذلك بطريق الصدفة وفي ذاك الوقت كنت ارى حلها سهلاً جدًا كما يحصل لكل احد بعد اطلاعه على حل معمي او لغز ولذلك عزمت على احراق الرقعة التي حررتها بيدي ورقعة سكنوسيم ايضًا فاخذتهما بيدي وتقدمت نحو الموقدة واذا بالباب قد فتح فرأيت عمي داخلاً مسرعًا فارجعت الرقعتين الى محلهما على عجل وسلمت الامر لله

اما الاستاذ فدخل صامتًا وجلس على كرسيه امام المكتب وهو غائص في بحار الافكار ثم اخذ القلم بيده وشرع يحرر ارقامًا حسابية ومعادلات جبرية ويداه في ارتعاش فاخذت اراقب عمله وحركاته خائفًا من ان تؤدي تلك الطريقة الجديدة الى الغاية المقصودة على ان خوفي كان في غير محلهِ اذ ان الطريقة الوحيدة التي تؤدي الى المطلوب هي التي توصلت بها الى قراءة الجملة فكل طريقة سواها فاسدة بالطبع

فبقي عمي نحوًا من ثلاث ساعات يكتب ويشطب ويثبت ويمحو يجرب طريقةً ثم يعدل عنها ويذهب الى رأي ثم يلوي عنهُ فكلما عرض لهُ فكر سار معهُ كالسائر المتخبط وكنت اعلم جيدًا انهُ اذا قلب وضع احرف الرقعة بكل الكيفيات الممكنة يتوصل الى تركيب الجملة على صحتها ولكني كنت اعلم ايضًا ان عشرين حرفًا فقط تركب على ٢٤٣٢٩٠٢٠٠٨١٧٦٦٤٠٠٠٠ وجه فكيف باربعة وثمانين فلا ريب ان عدد الوجوه التي تركب عليها يكاد لا ينطق بهِ لسان الانسان ولذلك

كنت مطمئنًا من ذاك القبيل فجلست على كرسي بازاء عمي وتركتهُ يخبط في ارقامه خبط عشواء

وكانت قد غربت الشمس ففتحت مرتا الباب وقالت هل سيدي عازم على تناول الطعام الليلة

فلم يسمعها الاستاذ لانهُ كان غائصًا في بحار الافكار فقفلت راجعة من حيث اتت واما انا فبعد ان بقيت ساعةً تأخذني الافكار وتجيء بي غلب عليَّ النعاس فنمت على الكرسي حتى الصباح اذ اقرسني البرد فاستيقظت وكان عمي لم يزل الى تلك الساعة مكبًا على عملهِ عاكفًا على شغله وعلى وجهه شحوب وفي عينيه احمرار فعلمت انهُ قاسى اشد العناء وهو يحاول المستحيل وكان من وقت رجوعه اخر مرة الى البيت لم يعاوده الغضب فقط بل لم يفه ببنت شفة فاخذتني الشفقة عليهِ وخشيت من ان يطرأ عليهِ عرض فجأةً بسبب استمرار تنبيه افكاره وانحصار الانفعالات النفسانية في فواده وكان في امكاني ان انشله من الضيق الذي كان فيهِ بكلمة واحدة ولكني لم افعل ولم يكن سكوتي عن قساوة مني فاني لما شاهدت عمي في تلك الحالة كاد قلبي يتفطر ولكن الحالة قضت عليَّ بالتزام السكوت لمصلحة عمي نفسه لاني كنت معتقدًا كل الاعتقاد انهُ لو اطلع على ذلك لما تأخر عن اقتفاء اثر سكنوسيم ولو كان دون ذلك اهوال ولهذا كنت مصمًا على اخفاء ذلك السر الذي اطلعتني عليه الصدفة وقلت ان اطلع عليه عمي من تلقاء نفسه فليفعل ما يشاء واما انا فلا اريد ان اكون سببًا في هلاكه وبناءً على ذلك اقمت في مكاني منتظرًا الفرج من الله

وفي تلك الساعة ارادت الخادمة مرتا ان تتوجه الى السوق لاجل شراء بعض المأكول فوجدت الباب مقفلاً والمفتاح منزوعًا منه واظن ان عمي فعل ذلك حين رجوعه الى البيت في اخر مرة على اني لم اعلم هل فعل ذلك عمدًا او على غير انتباه فقلت في نفسي ان كان في عزمهِ ان يحرم الاكل علينا فعلاً فذلك

عين الجور ومنتهى الظلم لانهُ اي يدٍ لي ولمرتا في السبب الذي حمل سكنوسيم على على وضع سره في صورة ذاك المعمى واي ذنبٍ لنا ان عجز عمي عن حله وكيف يحق لهُ ان يجازينا بذنب غيرنا ان كان في المسألة ذنب ثم تذكرت انهُ سبق لعمي ان ابقانا مرة بدون اكل مدى ثماني واربعين ساعة وذلك من بضع سنوات حينما كان يشتغل في ترتيب مجموعتهِ المعدنية وتذكرت ايضاً ان ذلك الصوم العلمي سبب لي آلاماً شديدة في المعدة ولما لم يكن في اليد حيلة لم ارَ اولى من الاعتصام بالصبر الجميل ووطدت العزم على كتمان سري مهما بلغ مني الجوع وكنت في ضيق من حبسي في المنزل وعدم استطاعتي الخروج اشد. من ضيقي من الجوع وذلك لاسباب لا تخفى على فطنة القارئ اما مرتا فكانت في يأس شديد لا ترى من الموت مناصاً واما عمي فكان غائصاً في بحار التامل ولذلك لم يشعر بشيءٍ من الاحتياجات الطبيعية وعند الظهر اشتد بي الجوع وكنت لهوماً من طبعي الا اني سكت على مضض وكانت مرتا قد اكلت في عشية اليوم السابق كل بقايا الطعام حتى لم يبقَ للجرذان ما تسد به الرمق وعند الساعة الثانية بعد الظهر اشتد جوعي حتى كدت اسقط على الارض مغشياً عليَّ وصرت ارى الاشياء على غير الوانها وحينئذٍ قلت في نفسي ان الاهمية التي رأيتها للرقعة هي وهمية او بالاقل ليست في الدرجة التي توهمتها وان عمي لا يصدق بحصول تلك الرحلة بل يعتبر المسألة من قبيل الكذب والاختلاق وعلى فرض انهُ اعتقد بصحة الرواية فلا يصعب توقيفه عن السفر ولو بالرغم عنهُ هذا اذا اراد السفر وانهُ من الممكن مع ذلك ان يقف على مفتاح المعمى من تلقاء نفسه فاكون قد تحملت عذاب الصوم على غير فائدة على ان الهلاك كان ميقوناً لو دام الامر على هذا الحال يوماً ثانياً وهو في السفر مظنون فقط فقلت موت مظنون خير من موت ميقون ولو فرضنا تساوي الدرجتين فاولى من هلاك معجل هلاك مؤجل فهذه الملحوظات لو عرضت لي في اليوم السابق لما اكترثت بها ولكن للجوع تأثيراً على الافكار فرأيتها في تلك الساعة حريةً بالاعتبار بل لمت



وبناءً على ذلك اقمت في مكاني منتظرًا الفرج من الله (صفحة ٣٥)

نفسي على سكوتي لحد ذاك الوقت

وبناءً على ذلك اعتمدت ان اطلع عمي على السر الذي شغل افكاره وبينما كنت افتكر في كيفية القاء الامر عليهِ قام عن كرسيه واخذ قبعته بيده واستعد للخروج فاضطربت وجلاً وقلت ان خرج وتركنا محبوسين فسنقاسي امر العذاب لاسيما اذا طالت غيبته فلم يخطُ خطوةً نحو الباب حتى ناديتهُ قائلاً يا عماه فلم يسمعني فكررت عليه النداء قائلاً بصوت عالٍ يا عماه ليد نبروك

فالتفت نحوي كمن استيقظ من غفلةٍ وقال مالك

قلت هل وجدت المفتاح

قال اي مفتاح تعني أمفتاح الباب

قلت بل مفتاح المعمى

فنظر اليّ بتامل ورأيت عينيه شاخصتين اليّ من وراء نظارته ولعلهُ نظر على وجهي علامةً مرت فانعطف نحوي بسرعةٍ واخذ ذراعي بيده ونظر اليّ وهو غير قادر على الكلام الا ان نظرته كانت سوالاً غاية في الفصاحة

فجاوبته محركًا رأسي من اعلى الى اسفل

اما هو فاشار برأسه اشارة تدل على عدم اعتقاده بصدق قولي ونظر اليّ كمن داخله الريب في سلامة عقلي اني كررت اشارتي للتاكيد فلمعت عيناه ومد يده نحوي كانه يتهددني ولولا اهمية الامر الذي كنا في صدده لضحكت من تلك المحاورة الخرساء وكنت اردت المطاولة في المسألة خوفًا من ان يؤثر الفرح الشديد بعي تأثيراً وخيم العاقبة او ان يحملهُ السرور على معانقتي فيضمني الى صدره بعنفه المعتاد فتذهب روحي شهيدة فرحه ولكنني اضطررت اخيراً الى الافصاح فقلت لهُ نعم مفتاح المعمى وجدتهُ بالصدفة فاضطرب وقال احق ما تقول

فقدمت لهُ الورقة التي كنت حررتها بخطي وقلت لهُ خذ واقرأ

فاخذ الورقة وجعدها باصابعه قائلاً واي معنى لهذه الكتابة لا معنى لها البتة

قلت لا معنى لها ان قرأتها كما هي ولكن اقرأها بالقلب مبتدئًا من آخرها

فما اتممت كلامي حتى صرخ صرخة دونها زئير الضراغم وكان في تلك اللحظة قد ادرك سر المسألة ثم قرأ الكتابة على صحتها بصوت مرتعش ولم يفرغ منها حتى وثب من مكانه كمن لمس سلكًا كهربائيًا واخذتهُ خفة الطرب فصار يذهب ذات اليمين ويعود ذات الشمال وهو يهمهم ويجمجم وينقل الكراسي من محلاتها ويجمع كتبه التي كانت على المكتب ثم يفرقها وكان يضرب باحدى يديه الحائط وبالاخرى الطاولة وبعد ساعة سكن هيجانه وهدأ اضطرابه فاستلقى على كرسيه

وقد اعياه التعب ثم نظر اليَّ وقال في اي ساعةٍ نحن من النهار

قلت في الساعة الثالثة

قال فما بالي اذن اجوع من ذؤالة قم بنا نتناول الطعام وبعد ذلك ننظر في تحضير معدات السفر

قلت أأنت مسافر

قال نعم وانت ايضاً

قال ذلك ودخل قاعة المائدة فاخذني القلق وقلت هذا ما كنت اخشاه وكنت اعلم ان عمي لا يعدل عن السفر الا اذا اقنعتهُ البراهين العلمية بعدم امكان تلك الرحلة فاخذت انظر في تلك البراهين فرأيتها قاطعةً فاطمأن بالي نوعاً

الفصل السادس

لما دخل عمي قاعة المائدة لم يرَ طعاماً على الخوان فاخذ يشتم ويلعن فافهمته ان السبب في ذلك هو تحريمه الاكل علينا منذ صباح اليوم الفائت وكان قد برح عن فكره هذا الامر فقبل العذر خلافاً لعادتهِ وسمح لمرتا بالتوجه الى السوق لشراء بعض المآكل والمشرب وبعد ذلك بساعةٍ جلسنا نتناول الطعام وكانت لوائح الطرب والسرور ظاهرة على وجهه بادية في حركاته وكان يمزح ويضحك ولما فرغنا من الاكل اومأ اليَّ ان اتبعني ودخل مكتبه فتبعته ولما استقر بنا المقام نظر اليَّ وقال بصوت لطيف انت نبيه جداً يا اكسيل وقد صنعت معي جميلاً لا انساه بارشادي الى طريقة حل المعمى بعد ان اعياني التعب وعزمت على ان اضرب عنهُ صفحاً فتأكد يا بني ان لك حقاً في جانب عظيم من الفخر الذي سيعود علينا

فقلت في نفسي ان الاستاذ الان في حالة صفاء ويمكنني معارضته في امر الرحلة واقامة الادلة على عدم امكانها

ثم اردف كلامه قائلاً اني اوصيك يا آكسيل بكتمان السر فان لي حساداً واعداء كثيرين بين العلماء وان علموا بالامر سبقونا الى السفر فيجب ان لا يدري احد بامرنا الا بعد عودتنا

فقلت وهل تظن يا عماه انهُ يوجد كثيرون من الذين يقدمون على مثل هذه الرحلة

فقال من ذا الذي لا يخاطر بنفسه لاكتساب الفخر والشهرة فوالله لو عرف العلماء بوجود هذه الرقعة ومضمونها لتهافتوا على اثر سكنوسيم تهافت الفراش على السراج

قلت فيصيبهم ما يصيب الفراش

قال ماذا تعني بذلك

قلت هل تسمح لي بان ابدي كل ما لديَّ من الاعتراضات على صحة مضمون هذه الرقعة

قال لك ذلك فانك لم تعد عندي بمنزلة التلميذ بل بمنزلة المثيل

قلت اخبرني اولاً ما هو جبل اسنيفل

قال ائتني بالخارطة التي اهدانيها صديقي اوغسطس باترمان

فاتيتهُ بما طلب فقال هذه الخارطة رسمها هندرسون وهي احسن خارطة عملت لايسلاندا وسنجد بها ما نروم الوقوف عليهِ

فانحنيت فوقها فقال اتبعني بنظرك الى الجهة الغربية من ايسلاندا فاذا نظرت قصبتها ريكياويك اصعد خيطة تلك القرى التي يتخلل البحر سواحلها وقف تحت الدرجة الخامسة والستين من العرض وقل لي ماذا ترى هنالك



فانحنيت فوقها فقال انبعني بنظرك الى الجهة الغربية من ايسلاندا (صفحة ٢٠)

قلت ارى شيئًا كشبه جزيرة تخاله عظمًا جرُّد من اللحم يعلوه شيء كعظم الرضفة

قال صدقت في هذا التشبيه يا ولدي أفلا تنظر شيئًا على ذلك العظم

قلت ارى جبلاً كأني به قام في البحر

قال هذا هو اسنيفل وارتفاعه خمسة الاف قدم عن سطح البحر وهو من اعظم جبال الجزيرة وان كان من فوهته طريق الى قلب الارض فهو لاشك اشهر جبال الكرة

فقلت وكيف الولوج به ان كان هائجًا

قال اعلم ان عدد البراكين الهائجة اليوم على وجه الارض يبلغ الثلاثمائة تقريبًا ولكن عدد البراكين المنطفئة أكثر منها بكثير فجبل اسنيفل هو من البراكين المنطفئة وقد مضى عليه اجيال عديدة لم يهج الامرة واحدة وذلك في سنة ١٢١٩ ومن ثمَّ اخذ يهدأ رويدًا رويدًا حتى انطفأ تمامًا

فاطرقت برهةً ثم قلت وما معنى كلمة اسكرتريس واي دخل لشهر يونيو في هذه القضية

فقال يظهر ان لاسنيفل فوهات كثيرة ولكن التي تؤدي الى قلب الارض واحدة ولما رأى سكنوسيم ذلك اراد ان يعين الفوهة المؤدية الى قلب الارض تعيينًا نافيًا للاشتباه والغلط فراى ان اسكرتريس وهو راس من رؤوس اسنيفل يظلل الفوهة المقصودة في الايام الاخيرة من شهر يونيو فذكر ذلك في رقعته فاذا سافرنا الى تلك الجزيرة صعدنا الجبل ونزلنا في الفوهة الموصلة الى قلب الارض بدون تردد فان اسكرتريس هناك يرشدنا اليها

فعجبت من ذكاء عمي وفطنته وقلت في نفسي لم يبقَ لي الا الاعتراضات العلمية فان كانت كافية لتحويل عزمه عن السفر كان به واما ان دحضها فلا مناص من السفر لعنة الله عليك يا سكنوسيم ولا وقيت من الشر يا هيفيلوس اليهودي

ثم نظرت الى عمي وقلت لهُ سلمت ان الرقعة هي بخط سكنوسيم وبانهُ توجه فعلاً الى جبل اسنيفل ونظر قمة اسكرتريس مظللة تلك الفوهة في الايام الاخيرة من شهر يونيو ولكني لا اصدق ابدًا انهُ توصل من تلك الفوهة الى قلب الارض حتى ولا انهُ حاول الامر بل اظن انهُ سمع من شيوخ بلده ان تلك الفوهة تؤدي الى قلب الارض فذكر الامر في رقعة مدعيًا انهُ سافر تلك السفرة المستحيلة

فقال الاستاذ ولماذا هي مستحيلة

قلت لان القواعد العلمية تنفي امكان حصولها

قال بالله اصحيح ذلك فلعن الله هذه القواعد التي اذهبت تعبنا سدىً ومنعتنا من اتمام مشروعنا

فعلمت ان الاستاذ يتهكم عليَّ غير اني صممت على تثبيت قدمي في مقام الجدل فقلت انهُ لمحقق ان حرارة الارض تزداد درجةً تحت كل سبعين قدمًا من العمق وبما ان نصف قطر الارض يبلغ نحوًا من عشرين مليون قدم فالحرارة في قلبها اكثر من مائتين وثمانين الف درجة وعلى ذلك فكل المواد التي فيهِ لا بد ان تكون غازًا ملتهبًا اذ لا معدن ولا صخر قادر على احتمال حرارة هذه شدتها فقل لي بالله هل تتوق نفسك الى الاقامة في ذاك العالم

فقال يظهر لي من كلامك يا اكسيل ان الحرارة هي الشاغلة لافكارك

فقلت نعم لاننا اذا نزلنا الى عمق خمسة فراسخ فقط نصل الى حدود القشرة الارضية حيث تبلغ الحرارة نحوًا من الف وثلاثمائة درجة

قال وانت خائف من الذوبان

قلت ان كنت تزعم ان جدي سمندل فخوفي في غير محله

فاجابني الاستاذ بجد قائلاً اما رأيي يا بني فهو ان ما من احد يعلم بالتحقيق على اي حالة قلب الكرة الارضية وذلك لان العلماء لم يتوصلوا بعد الاتعاب الكلية والجد المتوالي الا الى معرفة قسم من سمكها نسبته الى نصف قطرها نسبة ١٢ الى ١٠٠٠ فالعلم لم يزل في مهد الطفولية وكلما وضعت قاعدة جاءت قاعدة اخرى فدحضتها وقد كان يظن العلماء لحين ظهور فوريه ان الفضاء الاثيري تزداد برودته كلما ازداد بعدًا واما اليوم فقد علموا ان اشد برد الطبقات الاثيرية لا يبلغ اكثر من اربعين او خمسين درجة تحت الصفر فان كان للبرودة في الطبقات الاثيرية حد لا تتعداه فلماذا لا يكون لحرارة الارض الداخلية حد تقف عنده بدلاً من ان تستمر على الازدياد حتى تذيب المعادن والمواد الاصعب ذوبانًا وقد قال بعض العلماء المشاهير ومن جملتهم بواسون انهُ لو كان في قلب

الارض حرارة تبلغ مائتي الف درجة لتمددت الغازات الناشئة عن المواد الذائبة تمددًا قويًا حتى تتفرقع قشرة الكرة الارضية كما تتفرقع حيطان الخلقين البخارية بقوة البخر

قلت، انما ذاك رأي بواسون

قال ورأي كثيرين غيره من علماء الجيولوجيا الذين يحكمون بان قلب الارض غير مكون من غازات او من مياه اذ لو كان الامر كذلك لاقتضى ان يكون ثقل الارض اقل مما هو عليه مرتين

قلت يمكنك بالارقام ان تثبت كل ما اردت فاسدًا كان ام صحيحًا ولكن عند العمل يتميز المرعيّ من الهمل

قال مالنا وللارقام فهل تنكر ان عدد البراكين المائجة قد قل كثيرًا عما كان في العصر الاولى لعالمنا اوَ ليس في ذلك برهان على ان حرارة الارض الداخلية ان كان هنالك حرارة آخذة في التناقص

قلت ان اردت الجولان ياعماه في ميدان الاحتمالات فلا تنتظر مني جوابًا

قال وانا اخبرك بان مشاهير العلماء قد وافقوا على افكاري وارتأوا رأيي أَلست تذكر ان الكيماوي الانكليزي الشهير همفري ديفي زارني في سنة ١٨٢٥

قلت لا لاني ما ولدت الا بعد تلك الزيارة بتسع عشرة سنة

قال اعلم اذن ان همفري ديفي حين مروره بهمبرج في تلك السنة زارني مرة وتباحثنا في امور عديدة وبالجملة بحثنا في مذهب القائلين بسيلان قلب الارض فكنا كلانا متفقين على ان ذلك المذهب فاسد لسبب لا يقبل المدافعة ولا يمكن معهُ منازعة

فتعجبت بعض العجب وقلت ما هو ذلك السبب

قال هو انهُ لو كان قلب الارض سائلاً لكانت تلك المواد السائلة عرضة تأثير جاذبية القمر فيها كالاوقيانوس ولترتب على ذلك حصول مدٍ وجزرٍ

داخليين يرفعان قشرة الكرة الارضية مرتين في اليوم فيحدثان فيها زلازل دورية

قلت نعم ولكن من المعلوم ان سطح الارض كان ملتهباً فيجوز لنا ان نفرض ان القشرة الخارجية اخذت في البرودة اولاً بينما كانت الحرارة تنحصر في الداخل

قال ذلك عين الغلط فان الكرة الارضية اتتها الحرارة باشتعال سطحها فقط وذلك ان سطح الارض كان يشتمل على كمية وافرة من المعادن التي تلتهب بمجرد ملامستها للهواء والماء كالبوتاسيوم والصوديوم فهذه المعادن اشتعلت حينما تحولت الابخرة الجوية الى ماء وسقطت على الارض مطراً ولما تخللت المياه قشرة الكرة الارضية شيئاً فشيئاً احدثت اشتعالاً في داخلها فنشأ عنهُ تفرقع وقذف وتلك هي علة البراكين وسبب كثرتها في الادوار الاولى للارض

فاستحسنت ذلك التعليل وقلت حبذا ما قلت ان كان ذلك صحيحاً

فقال ذلك صحيح لاريب فيهِ وقد اثبتهُ همفري ديفي امامي في هذا المنزل نفسهِ بطريقة بسيطة ذلك انهُ صنع كرةً معدنية على شكل كرتنا الارضية وادخل في تركيبها قسماً كبيراً من المعادن التي ذكرتها فكنا اذا القينا على سطحها نقطاً صغيرة من الماء كقطر الندى ينتفخ سطحها ويتاكسد فيكوّن جبلاً صغيراً ثم ينفتح في قمته فوهة وتأخذ في القذف فتمتد الحرارة الى كل الكرة بحيث لا يعود يستطاع امساكها باليد

وكان عمي يتكلم بعزم شديد واعتقاد اكيد فاثر فيَّ كلامه وانفعلت نفسي بخطابه ورأيت الادلة التي اقامها جديرة بالاعتبار

ثم اردف كلامه قائلاً تبين لك اذن يا اكسيل ان اراء العلماء في هذه المسألة متناقضة متباينة وليس لهم برهان قاطع يثبت رأياً منها وابعدها عن الثبوت هو رأي القائلين بسيلان قلب الارض اما انا فاحتم بعدم وجود الحرارة الداخلية اذ لا ارى وجودها ممكناً ومع ذلك فسنقف على حقيقة الامر ونرى قلب الارض رأي العين كما فعل ارن سكنوسيم

فطربت لهذا الكلام وخفق فؤادي كأن عمي نفث فيَّ من روحه فملت الى تلك السفرة بقدر ما كنت اتقيها وكنت ارغب عنها فصرت ارغب فيها واجبت الاستاذ بحرارة قائلاً اجل لا بد من العمل وان كانت العين ترى في قلب الارض فسنرى ما هنالك

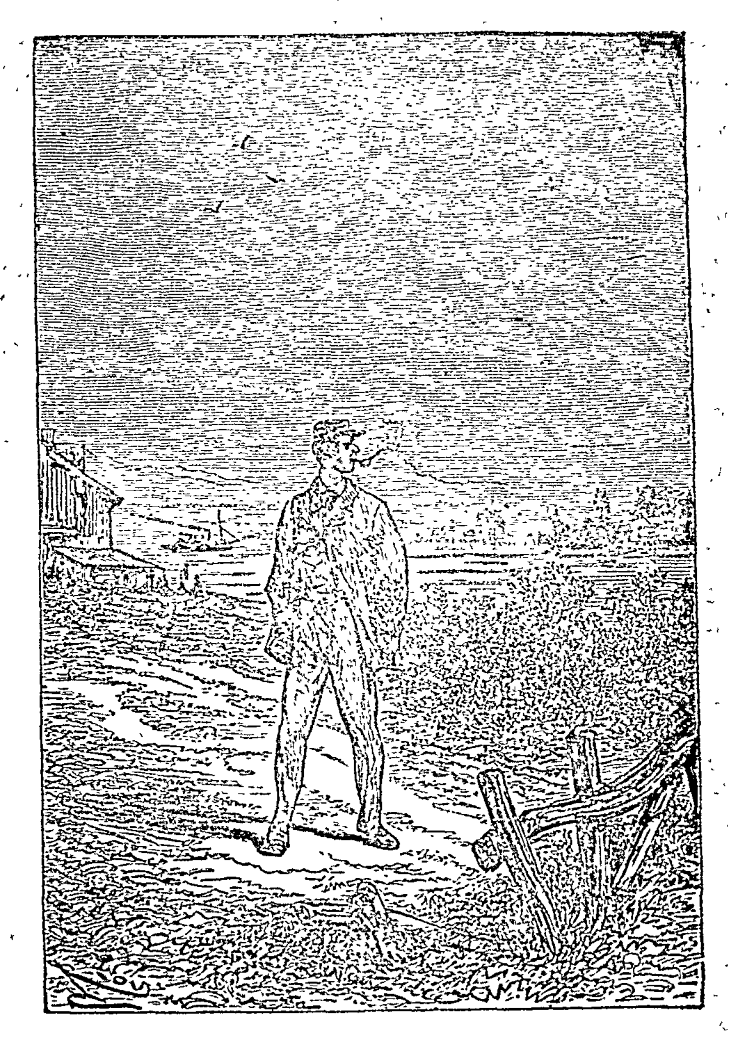
فقال ولماذا لا نرى فهل يستحيل وجود ظواهر كهربائية تنير قلب الارض وفضلاً عن ذلك فان الهواء نفسه عند قلب الارض ربما كان كافياً للانارة بسبب شدة الضغط الذي عليه

قلت نعم نعم ذلك ممكن

قال لا تقل ذلك ممكن بل قل ذلك واجب حتماً ولكن اياك ان تفوه بكلمة واحدة عن امر هذه الرحلة فالتزم الصمت التام لئلا يسبقنا احد الى هذا الاكتشاف

الفصل السابع

علمت ما كان من تلك المحاورة وما انتهى اليهِ امرها فلو دعاني الاستاذ الى الرحيل على اثرها لعمدت الى ذلك بنشاط وابتهاج ولكني بعد ان تركتهُ رأيت نفسي في حاجة الى استنشاق الهواء البارد وكانت شوارع المدينة ضيقة في عينيَّ فطلبت البر الفسيح متوجهاً نحو نهر الالب وريثما هداء غليان دمي وسكن تنبيه افكاري تذكرت المحاورة التي سردناها ونظرت اليها بعين التدبر فراجعني الريب في صحة الامر ثم تذكرت الادلة التي اقامها الاستاذ فملت الى رأيه بعض الميل ثم عدلت ايضاً الى الريب وبقيت ساعةً بين الشك واليقين حتى زال ما كان باقياً بي من هيجان الافكار فتغير حكمي في المسالة تغيراً كلياً فتراءى لي ان عمي على شطط بيّن وان عزمهُ على السفر لا يوافقهُ عليه الا كل مجنون ثم داخلني الريب في سلامة عقله وبعد برهة داخلني الريب في حصول المحاورة



فطلبت البر النسيج (صفحة ٣٦)

نفسها فقلت كل ما سمعتهُ ورأيته كان في الحلم لا في اليقظة وفي اثناء ذلك كانت رجلاي تذهب بي على غير قصد مني على طريق آلتونا ولما رجعت الى نفسي رأيت ابنة عمي غربية على قيد رمحين مني عائدة الي همبرج فحال ما ابصرتها ناديتها باسمها ووثبت نحوها فنظرت اليَّ باسمة وقالت مرحباً بك يا اكسيل فان كنت اتيت لاستقبالي فلك مني مزيد الشكر

ثم نظرت على وجهي دلائل الاضطراب ولوائح الحيرة فقالت ما لي اراك حائراً مضطرباً

فاطلعتها بوجيز العبارة على وقائع المسألة واوقفتها على عزم عمي وكنت اخال انها لا توافق على رأيه غير انها بعد ان اطرقت برهة تتروى في الامر نظرت اليَّ وقالت نعم الرأي يا اكسيل ونعمت الرحلة

فوثبت من محلي عند سماعي هذه الكلمات من فم محبوبتي فاردفت كلامها قائلة نعم يا اكسيل ان هذه الرحلة جميلة وسينالك منها شرف رفيع وعز منيع واعلم انه يحسن بالمرء ان يشتهر بين الخاص والعام بامر من الامور العظام فاذا ذكرت طبقات الناس دخل في عداد الرجال والتحق بطائفة من الابطال واذا نشبت بجسمه مخالب المنون بقي اسمه في منتديات الفنون على ان المجد لا سبيل اليه الا بالمخاطره ولا مجال لادراك المنى بسوى الدأب والمثابره أنسيت قول الشاعر العربي

لا تحسب المجد تمرًا انت آكلهُ   لا تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

فاجبتها أهذا ما تقولين وقد كنت انتظر منك لو وجدتني مصممًا على السفر ان تحوليني عن عزمي

قالت معاذ الله ان احول عزمك عن مشروع عظيم نبيل الغاية ولو لم يكن بوجودي معكما تثقيل عليكما لصحبتكما في هذه الرحلة

قلت أتقولين الجد ام انت تمزحين

قالت لا اقول الا الجد

فلما رأيت تلك الفتاة تشجعني على رحلةٍ كنت منها في وجل علا وجهي احمرار الخجل وفكرت في امر النساء وعلمت ان فيهن سرًا لا يدرك فقد جمعنَ في طبيعتهنّ كل نقيض فاما ان تكون المرأة اجبن المخلوقات واما اجسرها وكانت غريبة مع ذلك تحبني محبة شديدة فقلت لها سننظر يا غريبة أتبقين على هذا الراي ام تعدلين عنهُ في الغد

فقالت ان رأيي غدًا يا عزيزي اكسيل هو رأيي اليوم